تحديد موقع الجرهاء على ضوء المكتشفات الأثرية الحديثة

عبدالرحمن بن عبدالعزيز السحيباني

ملخّص: يركز هذا البحث على دراسة موقع الجرهاء على ضوء ما تم الكشف عنه مؤخراً من مادة أثرية في مواقع بشرقي الجزيرة العربية، مثل موقعي ثاج والدفي، والمواقع الأثرية المجاورة. اعتمدت الدراسة على تحليل ما ورد في المصادر الكلاسيكية وإعادة تفسير النصوص التاريخية ذات العلاقة وفقاً للعينات الأثرية الجديدة. ولقد اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي لمضامين هذه المصادر وما ظهر مؤخراً من مكتشفات أثرية، وتشير النتائج الأولية لهذه الدراسة بأن الجرهاء يمكن اعتبارها هي ثاج، وأن ميناءها هو الدفي، بحيث تكون ثاج هي المدينة أو العاصمة فيما أن الدفي هي الميناء لهذه المدينة.

كلمات مفتاحية: الجرهاء، ثاج، بوتس، سترابو، بليني، الدفي.

***Abstract*:** *This study investigates the site of al-Jerrha based on recent archaeological finds in some archaeological sites in the east of the Arabian Peninsula like Thaj, al-Diffi, and the neighboring archaeological sites. It tried to analyze the classic sources that mentioned al-Jerrha, and reinterpret the related historical texts in accordance with the recent archaeological finds. The analytical approach was adopted to analyze what the resources stated about al-Jerrha and the recent archaeological finds. The preliminary results of this study indicate that Thaj could be the ancient city/capital of al-Jerrha, and al-Diffi could be its port.*

أصل التسمية

اختلفت الآراء تجاه الصيغة اللفظية الصحيحة لمملكة الجرهاء، هل تلفظ الجرهاء؟ أو القرهاء؟ أو جره؟ المصادر الكلاسيكية، والتي من خلالها وردنا اسم هذه المملكة، هي جميعها مصادر هيلنيستية وتكتب اسم المملكة بالصيغة التالية: Υερρα، وهذا يعادل في اللغة اللاتينية القديمة جرّا، بتشديد الراء عند نقلها للعربية بدلاً من تكرار حرف الراء، وخلال تحويلها من اللغة اللاتينية القديمة إلى الحالية أصبحت تكتب جرهاء، وهي ما أصبحت تعرف به حالياً في أوساط العلماء الأوربيين الحاليين، ولا نعلم كثيراً حول حقيقة إضافة حرف الهاء بعد حرف الراء لتنطق جرهاء.

الجرهاء في المصادر الكلاسيكية

وصفت من قبل الرحالة والمؤرخين الكلاسيكيين، وعلينا أن نأخذ بعين الاعتبار بأن ما ورد من نصوص تاريخية اعتمدت في الأساس على النقل والراوية، ولذلك فإن نسبة مصداقيتها يجب أن تعتمد على مدى توافقها مع الواقع والدليل الأثري. وكتمهيد لربط النصوص التاريخية مع الأدلة الأثرية الجديدة، لعلنا نستعرض أهم النصوص الكلاسيكية ذات العلاقة، وهي مقدمة حسب تسلسلها وأقدميتها كما يأتي:

النص الأول: سترابو[1]: يشير مضمون هذا النص الوارد في موسوعته الجغرافية (سترابو، المجلد ١٦، الفصل ٣، القسم ٣) وهو ينقل عن اراتوثينس (٢٧٦-١٩٦ ق.م) قوله: «نستطيع أن نصل إلى الجرهاء بعد مسيرة ٢٤٠٠ ستاديا (قرابة ٣٨٠ كم) على طول ساحل الجزيرة العربية، المدينة تقع على خليج عميق وكان يسكنها الكلدانيون المنفيون من بابل. يوجد بأرض هذه المدينة أملاح، كما أن سكان هذه المدينة يعيشون في منازل مبنية من ملح الذي يعرضها للذوبان على شكل ألواح وذلك بسبب استمرار الحرارة الحارقة لأشعة

(ص ص ٥٣-٦٢) ردمد ٨٩٤٧-١٣١٩

الشمس؛ ما يعرّض المنازل للسقوط والانهيار؛ لهذا السبب يعمد الناس إلى رش المنازل بالماء لكي تستمر صلبة. تقع المدينة على بعد ٢٠٠ ستاد عن الساحل، وكانت تحركات سكان الجرهاء تتم عبر الطرق البرية لتجارة العطور».

النص الثاني: بوليبيوس: ويذكر أن انطيوخس الثالث أرسل قوة، في حوالي العام ٢٠٥ ق.م. تقريباً، وذلك لإخضاع الجرهائيين؛ إذ يقول بوليبيوس ما يأتي: «لقد توسّل الجرهائيون الملك ألا يحرمهم النعم التي أنعم الله عليهم بها وهي الحرية والسلام الدائمان، ولما ترجم خطابهم إلى الملك انطيوخس الثالث أجابهم على مطالبهم، ولما حصل الجرهائيون على مطلبهم اصدروا مرسوماً يقضي بتكريم هذا الملك وذلك بإهدائه خمسمائة قطعة من الفضة، وألف قطعة من اللبان، ومائتي قطعة من المر، وبعدها أبحر الملك إلى جزيرة تيلوس، دلمون، ثم غادر إلى سلوقيا» (سترابو، المجلد ١٣، الفصل التاسع. بوتس، ٢٠٠٣م: ٧٨٣-٧٨٤).

النص الثالث: ديودور الصقلي[٢]: نقلاً عن اجاثارخيدس في حوالي ١٠٠ق. م تقريباً، إذ يقول ما يأتي: «اتضح مما تركه السبئيون والجرهائيون أنهم كانوا من أغنى الولايات جميعاً؛ فقد كانت لديهم معدات وأدوات كثيرة من الذهب والفضة والأسرة والحوامل ثلاثية الأرجل والأوعية، فضلاً عن أواني الشرب، والمنازل الباهظة التكاليف والمطاعم أبوابها وأسقفها بالعاج والذهب والفضة، كما شوهدت مجموعة من الفضيات والأحجار الكريمة» (جروم، ١٩٨٢م: ٩٥).

النص الرابع: بليني[٣]: وهو يضيف معلومات في غاية الأهمية عن موقع الجرهاء أخذها عن بطليموس[٤] (٢٠٥-١٨١ ق.م) وذلك عندما قال: «ميناء الجرهاء يحمل اسم المدينة نفسها، والتي يصل طول محيطها إلى نحو خمسة أميال، ولها أبراج مشيدة من حجر ملحي. وتوجد منطقة اسمها اثين Atten تبعد مسافة ٥٠ ميلاً من الساحل. وفي المقابل وعلى البعد نفسه في المسافة من البحر، توجد جزيرة تيلوس المشهورة بالأصداف».

لمحة تاريخية عن الجرهاء

ما تزال معرفتنا عن تاريخ الجرهاء محدودة ويشوبها الكثير من الغموض خاصة من حيث موقعها الدقيق، وفترة ازدهارها وحدودها، هل هي مجرد قرية بسيطة أو محطة تجارية أو أنها مدينة ذات استقرار سياسي وحكم محلي. وبحسب ما وردنا من نصوص كلاسيكية فإنها تقع في الجزء الشمالي الشرقي من الجزيرة العربية، وظهرت في حدود القرن الثالث قبل الميلاد لتشكل كياناً تجارياً من أهم الكيانات في تلك الفترة ولا يعرف الكثير عن موقعها حتى الآن. تمتلك الجرهاء، وذلك حسب روايات المؤلفين في الفترة الكلاسيكية وخصوصاً سترابو، ثروة لا تضاهى في تلك الفترة التي عاشت فيها، وقد كان سكانها يتاجرون باللبان والمر والبخور والعطور وبعض أنواع التمور، إضافة إلى بعض الأعشاب الطبية التي كانت تنتج في عُمان وحضر موت، كانت أيضاً محطة في غاية الأهمية لإعادة تصدير بعض المنتوجات القادمة من الهند، مثل: بعض البهارات والعاج والبخور، إضافة إلى الحرير الصيني القادم من آسيا.

إن ربط الكلدانيين بالجرهاء باعتبارهم منفيين من بابل (سترابو: المجلد ١٦، الفصل ٣، القسم ٣) أثار علامة استفهام كبيرة عند الباحثين؛ إذ يعتقد بعضهم بأنهم هم من أسسوا الجرهاء (بوتس، ٢٠٠٣م: ٧٧٢) ولكن ليس بالضرورة أن يكونوا هم من سكنوها، وهذا فيه شك كبير، ولا يمكن إعطاء حكم مطلق ونهائي حول هذا الموضوع. إضافة إلى الشك الكبير في أصول الجرهائيين، هناك شك حول الفترة التي نشأت فيها الجرهاء. فمن المعلوم جيداً أنها ازدهرت في حوالي القرن الثالث قبل الميلاد ولكن هل نشأت في هذا القرن؟ ما ذكره سترابو أنها كانت مسكونة من قبل الكلدانيين ليس كافياً لإعطاء تأريخ محدد ودقيق، لذلك ليس لدينا حالياً أي دليل مادي يفيد أو يسمح بطرح بعض الفرضيات حول الفترة التي نشأت فيها هذه المدينة المهمة.

استمدت الجرهاء أهميتها الاستراتيجية بناء على موقعها على الخليج العربي؛ ما مكنها من ربط تجارة الساحل الشرقي مع بابل والبتراء وفلسطين وجنوبي الجزيرة العربية، وكانت ثروتها تضاهي ثروة كبار التجار السبئيين في ذلك الوقت كما وردنا من ديودور الصقلي، وكانوا ينقلون بضائعهم عبر البحر وأتقنوا الإبحار لدرجة أن هذه المملكة كانت تسمى في بعض المصادر القديمة باسم مملكة البحر، وهذا ما تؤكده النصوص التاريخية ومن أهمها النص سالف الذكر، والذي وصل إلينا من بوليبوس حول القوة المرسلة من الملك انطيوخس، وقد ناقش العديد من العلماء والباحثين السبب وراء هذه القوة المرسلة إلى الجرهاء، واختلفوا في كونها إما محاولة لقهر الجرهائيين والاستيلاء على أكبر قدر ممكن من الغنائم وجمع الجزية، وإما أن تكون تحذيراً للجرهائيين، وبالقوة، على إعادة إرسال بضائعهم التجارية إلى بابل بعد فترة من الانقطاع.

إن معرفة الأسباب والدوافع خلف هذه الإرسالية ليست هو محور هذا البحث، فيمكن الحديث عن هذه الأسباب في بحث تاريخي آخر، ولكن ما يهم هنا هو ما ذكر عن الجرهائيين وما أهدوه للملك انطيوخس الثالث عندما استجاب لمطالبهم، وهذا بلا شك يبين مدى الثراء الكبير الذي تمتعت به الجرهاء. إضافة لهذا، فإن ما ذكره ديودور الصقلي في النص الوارد أعلاه عن مدى ثراء الجرهائيين والسبئيين يمكن اعتباره دليل أخر لإيضاح مدى الثراء الذي عاشت فيه الجرهاء، وتقدم سبباً مقنعاً حول أهمية إعادة طرح التساؤل حول موقع هذه المملكة العربية المفقودة. إن ما تقدم من إيجاز بسيط جداً عن الجرهاء يجعلنا أمام ما يشبه الأسطورة التاريخية. لقد كانت الجرهاء وبدون أدنى شك واحدة من أهم المدن أو الممالك في الجزيرة العربية في عصرها، إذ كانت تملك ثروة عظيمة أسهمت في صنع مملكة تشابه الأسطورة.

إلى جانب الإشكاليات التي تعترض معارفنا حول هذه المملكة، مثل تاريخ نشأتها وأصل سكانها وموقعها، ليس لدينا حتى الآن أي معلومات حول تاريخ نهايتها، إذ يذكر بطليموس أن الجرهائيين كانوا إحدى القبائل على ساحل الخليج العربي وأن الجرهاء كانت إحدى الموانئ البحرية، ولكن لا يعرف تاريخ مصدر بطليموس بالضبط (جروم، ١٩٨٢م، ٩٦). هناك أيضاً عدد من الآراء التي ظهرت في العصر الحديث حول اختفاء الجرهاء، منها ظهور مدن أو ممالك تضاهي الجرهاء بالثراء؛ ما جعلها تسيطر على هذه المملكة التي اختفت تدريجياً ككيان سياسي، ومن الآراء التي فسرت اختفاء هذه المملكة هو التغير الذي حصل في حركة الطرق التجارية البحرية وهجر لها في وقت أصبحت الطرق التجارية البرية أكثر فاعلية ما أدى إلى إضعاف القوة الاقتصادية لهذه المملكة التي اندثرت بشكل تدريجي أو اندمجت في كيانات سياسية أخرى ظهرت بالتزامن مع الضعف الذي حصل لهذه المملكة. كما أن هناك بعض الآراء التي تقول إنه من المحتمل أن اليونانيين قد دخلوا في منافسة مع الجرهائيين على الصعيد التجاري وتجاوزوهم؛ ما أدى إلى إضعاف هذه المملكة وبشكل تدريجي حتى اختفت وهجرت. حتى الآن، لا يوجد أي دليل مادي يفيدنا عن نهاية هذه المملكة المعروفة تاريخياً مع الرجاء أن تكشف لنا التنقيبات الأثرية في المستقبل عن شيء من غموض هذه المملكة.

الجرهاء والاكتشافات الأثرية الحديثة

لقد أحيت الاكتشافات الأثرية الحديثة الاهتمام بموقع الجرهاء، إذ يرى الباحث أن الربط ما بين الأدلة الأثرية وخاصة تلك التي تنتمي للفترة الهلينستية يمكن أن يعتمد عليها بربط وتفسير النصوص التاريخية محل اهتمام هذا البحث. وقد كان هذا الموضوع، تحديد موقع الجرهاء، محوراً للنقاش والأبحاث على مدار عدد من السنوات بين العلماء والمختصين، وخلصت هذه الأبحاث إلى ترشيح عدد من المواقع الأثرية حالياً لتكون هي حاضرة الجرهاء القديمة بناءً على عدد من وجهات النظر التي بنيت في الأساس على ما ذكره سترابو وبليني وبليبوس حول هذه المدينة. قام دانيال بوتس بجمع هذه الآراء في كتابه الخليج العربي

في العصور القديمة (بوتس، ٢٠٠٣م: ٧٧٤-٧٧٧)، (الجدول ١).

الجدول ١: إحصائية بآراء الباحثين عن موقع الجرهاء

تسلسل	صاحب الرأي	العام	الموقع المقترح
١	دانفيل	١٧٦٤م	القطيف
٢	منّيرت	١٧٨٨-١٨٠٢م	القطيف
٣	فنسنت	١٨٠٩م	القطيف
٤	هييرن	١٨٢٤م	الهفوف أو القطيف
٥	فورستر	١٨٤٤م	سلوى
٦	ويتزستاين	١٨٦٥م	العقير
٧	سبرنجر	١٨٧٥م	بالقرب من الهفوف مع ميناء في العقير
٨	مايلز	١٨٧٨م	الهفوف مع ميناء في العقير
٩	دورند	١٨٨٠م	سلوى
١٠	غليزر	١٨٩٠م	سلوى
١١	ستيف	١٨٩٧م	القطيف
١٢	تكاش	١٩١٢م	بالقرب من الهفوف مع ميناء في العقير
١٣	فيلبي	١٩٢٠م	العقير
١٤	شيزمن	١٩٢٥م	العقير
١٥	بيرتيلو	١٩٣٧م	العقير
١٦	كورنول	١٩٤٦م	العقير
١٧	ستيهل	١٩٦٧م	جبل القرين
١٨	فون ويسمن	١٩٦٧م	جبل القرين مع ميناء في القطيف
١٩	غلوب	١٩٦٨م	ثاج
٢٠	موركهولم	١٩٧٣م	ثاج
٢١	بيستون	١٩٧٩م	ثاج
٢٢	بوتس	١٩٨٤م	ثاج
٢٣	غروم	١٩٨٤م	الهفوف
٢٤	الجنبي	٢٠٠٩م	جبل قاره
٢٥	الزهراني	٢٠١٠م	ثاج

استناداً على النصوص التاريخية الموضحة أعلاه، اقترح عدد من المؤرخين والآثاريين بأن الجرهاء ربما هجرت وغمرت الرمالُ موقعَها، وبعد ذلك تم استيطانها من قبل حضارة أخرى؛ وهذا تفسير ينسجم مع وجهة نظر الآثاريين، إذ إن التسلسل المرحلي والطبقي في المواقع الأثرية يخفي خلفه العديد من المعلومات عن تاريخ مَن استوطن هذه المناطق، وإذا ما علمنا أن الجزء الشرقي من الجزيرة العربية، وخصوصاً الداخل في نطاق حدود المملكة العربية السعودية اليوم، لم يُعطَ حقه من التنقيبات الأثرية على غرار ما هو موجود اليوم في شمالي وشمال غربي المملكة، أو حتى في المناطق المجاورة، مثل الأردن واليمن ومصر وغيرها؛ لذلك، فربما تكشف التنقيبات الأثرية مستقبلاً عن شيء من هذا الغموض.

استناداً إلى النصوص التاريخية المذكورة آنفاً، اقترح بعض المؤرخين والباحثين تحديد موقع الجرهاء ما أدى إلى النتائج سالفة الذِكر. لقد اعتمد الآثاريون الأوائل في تسميتهم للقطيف كموقع مرشح لأن يكون الجرهاء وذلك بسبب الشهرة الكبيرة للقطيف في أوساط هؤلاء الباحثين، إضافة إلى أن موقعاً مثل ثاج لم يكن معروفاً بشكل جيد في ذلك الوقت، والمقصود في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين الميلادي. ويذكر بوتس في كتابه الخليج العربي في

العصور القديمة (بوتس، ٢٠٠٣م: ٢٧٧-٢٧٩) أن فورستر اعتمد موقع سلوى كموقع مرشح للجرهاء، بناء على بعض الخرائب التي وجدها إبان المسح للخليج العربي وساحل عمان، بينما أكد الرائد شيسمان أن هذه الخرائب حديثة نسبياً.

وقد فنّد بوتس الأسباب التي تدعو إلى عدم قبول فرضية موقع آخر للجرهاء غير ثاج، الذي يرى من وجهة نظره أنه هو الموقع المناسب، وقد اعتمد -وهو أفضل من تناول هذا الموضوع حتى الآن- في طرح فرضيته على المسافات، واقترح بناءً على المسافات الواردة في النصوص الكلاسيكية أن موقع ثاج هو أقرب موقع ممكن لتطبيق وصف سترابو وبليني (Potts, 1984: 78-91). ولكن فرضيات بوتس انطلقت بالاعتماد على المسافات المذكورة في هذه النصوص، وهذا طبيعي ومنطقي بأن يحصر الاستدلال على المسافات كون الوقت الذي طرح فيه بحثه لم يكن موقع ثاج قد نُقِّبَ كما هو عليه الحال الآن. لقد أظهرت التنقيبات الأثرية الأخيرة في ثاج عدداً من الأدلة والشواهد الأثرية التي لو اطلع عليها العلماء السابقون والذين رشّحوا مواقع أخرى غير ثاج لربما تغير رأيهم في ذلك.

هذا البحث لن يتناول احتمالية إسقاط موقع الجرهاء على موقع ثاج الأثري بحسب ما ورد في النصوص الكلاسيكية من مسافات، فهذا تناوله بوتس وفصّل فيه؛ ولكن هذا البحث سيتطرق إلى ما ورد في النصوص التاريخية من وصف للجرهاء ومحاولة تطبيقها على ما ظهر مؤخراً من دلائل ومعثورات أثرية في ثاج.

يقع موقع ثاج الأثري في شرقي المملكة العربية السعودية (الخريطة ١) على مسافة نحو ٨٥ كم إلى الجنوب الغربي من مدينة الجبيل، وعلى بعد ما يقارب ١٥٠ كم شمال غربي مدينة الظهران (الزهراني، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م: ٢٣). ويعد الكابتن البريطاني شكسبير هو أول من زار المواقع، وذلك في العام ١٩١١م، وحصل في زيارته هذه على بعض من النقوش (Mandaville, 1936: 9-20)، كما زارها هارولد دكسون برفقة زوجته فايوليت في عام ١٩٤٢م، ومن ثم قام بنشر نتائج تلك الزيارة في مقال عام ١٩٤٨م (Dickson, 1948: 1-8)، وفي العام ١٩٦١م قامت فايوليت بتكرار الزيارة مرة أخرى للموقع، والحصول على بعض النقوش المنحوتة على قطع حجارة مستخدمة في بناء بعض المنازل الحديثة (الغزي، ١٤٢٥/١٤٢٦ه: ٥٥)، بعد ذلك قام بول لاب برفقة ماندفيل بزيارة الموقع نحو عام ١٩٦٢م ونشر مقالاً عن فخار ثاج في العام ١٩٦٣م، إذ يعتقد أن ما جمعه من فخار من سطح الموقع يعود إلى الفترة الرومانية، أي في حدود نهاية القرن الأول الميلادي حتى القرن الثاني الميلادي (Lapp, 1963: 20-22)، بينما أرخ بيتر بار مجموعة من فخار ديكسون إلى الفترة الواقعة بين ٧٥ ق.م حتى بداية العصر الميلادي (Parr, 1964: 22). وفي العام ١٩٧٤م، نشر روبن مقالاً يتحدث فيه عن بعض النقوش الحسائية المتكشفة في ثاج، ويرى أن تلك النقوش يمكن تأريخها إلى الفترة بين ٣٠٠-١٣٠ ق.م (Robin, 1974: 117)، وأيده في ذلك ريكمانز (Ryckmans, 1979: 5).

وكان من ضمن الدراسات ما نشره موركهولم في عام ١٩٧٩م، وقد أطلق على العملات المكتشفة في ثاج اسم عملات الجرهاء (Mrkholm, 1979: 229-231). وفي العام ذاته نشر الفرد بيستون مقالاً يرشح فيه ثاج على أنها هي الجرهاء معتبراً أن ثاج أهم موقع أثري في شرقي الجزيرة العربية (Beeston, 1979: 5). وقد بدأت أولى الأعمال الأثرية الميدانية في هذا الموقع في العام ١٩٦٨م (الزهراني، ٢٠١٠م: ٣٨٠) وذلك عندما قامت البعثة الدنماركية بعمل أولى التنقيبات، وذلك في محاولة لتحديد فترات الاستيطان لهذا الموقع، وأرخت البعثة الموقع إلى الفترة الواقعة بين ٣٠٠ ق.م حتى ١٠٠م (Bibby, 1973: 10-28)،

وبعد ذلك توالت الأعمال الميدانية في الموقع وكان من أهمها ما قامت به الإدارة العامة للآثار والمتاحف بوزارة المعارف، آنذاك، من جمع لعينات تم تحليلها بالكربون المشع لتعطي تأريخاً من الفترة حوالي القرن الخامس قبل الميلاد وحتى القرن الرابع الميلادي

الخريطة ١: خريطة للطرق التجارية البرية في الجزيرة العربية قديماً، وتظهر موقع ثاج في شرقي الجزيرة. (نقلاً عن الزهراني، ١٤٣٥هـ، لوحة ٢).

(اسكوبي وأبو العلا، ١٩٨٥م: ٣٧-٥٣)، إضافة لذلك ما قام به الزهراني من عمل بعض المجسات لرسالته للماجستير وما قامت به وكالة الآثار والمتاحف من تنقيبات في هذا الموقع أثرتنا ومدتنا بكم كبير من المعلومات الأثرية.

يشير الجدول الإحصائي (الجدول ١) الذي يرصد جميع الآراء المنشورة عن موقع الجرهاء بأنها كانت محل خلاف واضح، وذلك حتى العام ١٧٦٤م، إذ يمكن ملاحظة أن آراء العلماء في تحديد موقع الجرهاء بدأت في هذا العام، وبتتبع الآراء حتى العام ١٩٦٧م، أي الموسم الذي يسبق أول عمل ميداني للبعثة الدانماركية، نجد أن هناك سبعة عشر عالماً اختاروا مواقع مختلفة لم يكن من بينها ثاج، بينما من العام ١٩٦٨م وحتى الآن هناك سبعة آراء، كان خمسة من بينها ترشح ثاج كموقع للجرهاء، وهذا ما حفّز الباحث على إعادة تقييم ما ورد من مضامين في النصوص التاريخية من ناحية، وما تم الكشف عنه من مواد أثرية مؤخراً من ناحية أخرى.

أما مضامين النصوص الكلاسيكية الواردة آنفاً، يلاحظ إشارة بليني أن للجرهاء ميناء يحمل اسم المدينة، وهذه أولى الملاحظات، فالجرهاء هنا يمكن فهمها أنها أشبه بالمملكة، فلها عاصمة ولها ميناء، وذكر أن لها محيطاً يصل إلى خمسة أميال، وعند النظر لمحيط موقع ثاج فهو يصل إلى نحو خمسة كيلات، وهو رقم مقارب لما ذكره بليني، وخصوصاً عندما نأخذ بعين الاعتبار نسبة الخطأ في نص بليني، فهو روماني نقل عن بطليموس في فترة تسبقه بكثير، وأن نسبة المصداقية منخفضة جداً. كما ذكر بليني أيضاً أن لها سوراً مشيداً من الحجارة الملحية وبه أبراج، والوصف هنا أن السور مشيد من أبراج ملحية دليل آخر على الخطأ في النقل لدى بليني، فليس هناك حجراً بهذا الاسم، فالسور بني من الحجر الرملي المائل إلى اللون الأبيض ومن الحجر الكلسي كذلك، كما أن أرض ثاج ملحية حيث يحد موقع ثاج من الشمال سبخة واضحة في الصور الجوية للموقع، وهذا ربما ما أدى للالتباس لدى مَن نقل لبليني أن السور شيّد من حجارة ملحية، وهذا الخطأ في الوصف أيضاً يرد لدى سترابو بقوله أن المنازل شيدت بحجارة ملحية، فيظهر أن وجود الأملاح على واجهات المنازل والسور سببت ارتباكاً لدى مَن وصفها لهم بأنها حجارة ملحية. الشاهد الآخر من حديث بليني هو ما ذكره أن الجرهاء مسوّرة وبها أبراج، وهذا ما كشفت عنه التنقيبات مؤخراً حيث يحيط بثاج سور يصل طول محيطه إلى حوالي ٢٥٣٥ م، وفي كل ركن من أركان هذا السور برج مشيد بالحجارة (الزهراني، ١٤٣٥ه/٢٠١٤م: ٥١)، كما يوجد عدد من الأبراج الصغيرة على الجانب الشرقي من السور، ظهرت بالصور الجوية، يعتقد بوتس أنها عبارة عن دعامات للسور (بوتس، ٢٠٠٣م: ٧١٦)، ويذكر بيبي أن المسافة بين هذه الأبراج أو الدعامات ثابتة (Bibby, 1973: 14). هذا إذاً، أولى الدلائل والإثباتات على أن ثاج هي أنسب موقع لتكون الجرهاء.

ثاني الأدلة والإثباتات، هو ما ورد في نص ديودور الصقلي الوارد فيما سبق، نقلاً عن اجاثارخيدس أن السبئيين والجرهائيين كانوا من أغنى الولايات وأنهم كانت لديهم معدات وأدوات كثيرة من الذهب والفضة والأسرّة والحوامل ثلاثية الأرجل والأوعية فضلاً عن أواني الشرب، والمنازل الباهظة التكاليف والمطعم أبوابها وأسقفها بالعاج والذهب والفضة، كما شوهدت مجموعة من الفضيات والأحجار الكريمة؛ وهذا ينطبق تماماً على ما كشف عنه في موقع ثاج الأثري في عام ١٤١٩هـ/١٩٩٩م عندما قام فريق من متحف الدمام الإقليمي بعمل تنقيب في أحد التلال الأثرية المعروف بتل الزائر كشف فيه عن مدفن لفتاة لا تتجاوز الرابعة عشر من عمرها دفنت في سرير خشبي مغطى بالرصاص والبرونز (الحشاش وآخرون، ١٤٢١هـ: ٤٣-٤٧)، وقد كشف هذا المدفن عن مطابقة واضحة لنص ديودور هذا، إذ كشف عن سرير جنائزي وحوامل للسرير مصنوعة من تماثيل إغريقية، كما عثر على كم هائل من الأدوات الذهبية والفضية تمثلت فيما يلي (الحشاش وآخرون، ١٤٢١ه: اللوحات: ٤٥-٦١. بن عفيصان، ١٤٣٧ه/٢٠١٥م: ٨٩-١٢٥):

(الجدول ٢: يوضح عينات من الأدلة الأثرية المعثور عليها في مدفن ثاج)

تسلسل	الوصف
١	قناع للوجه من الذهب
٢	حلقان من الذهب
٣	أربع شرائط ذهبية
٤	ثلاث عقود للعنق من الذهب ومطعمة باللؤلؤ والأحجار الكريمة
٥	اثنين وتسعين قطعة ذهبية على هيئة قرص
٦	تسع قطع ذهبية مربعة
٧	مائتين وستة وخمسين قطعة لأزرار ذهبية
٨	كف من الذهب
٩	سوارين من الذهب
١٠	خاتمان من الذهب
١١	ست قطع ذهبية أسطوانية الشكل
١٢	رأس صولجان من الفضة

إن ما عثر عليه في هذا المدفن لهو تطابق واضح وصريح لما ذكره ديودور الصقلي، وشاهد آخر يؤكد أن ما وصفت به الجرهاء من الثراء موجود تماماً في ثاج. إن هذا المدفن، وهو مثال واحد فقط، عثر به على كمية ضخمة من القطع الذهبية والفضية المتنوعة، فكيف يمكن أن نتخيل لو تم التنقيب في مساحة أكبر من المساحة المنقبة حالياً في ثاج؟ من المؤكد أنها ستكشف عن مدى الثراء الذي تمتعت به ثاج وهذا ما ينطبق تماماً على وصف الكلاسيكيين للجرهاء. وكما يؤكد هذا المدفن ما ورد في نص ديودور، فإنه يؤكد من جهة أخرى ما ورد في إحدى النصوص المذكورة أعلاه عن سترابو عن القوة التي أرسلها الملك انطيوخس الثالث للجرهاء وكيف أنه بعد استجابته لمطالبهم أهدوه خمسمائة قطعة من الفضة وألف قطعة من اللبان ومائتا قطعة من المر، إن مجتمعاً يهدي ملكاً هذه الكمية من القطع الثمينة لهو مجتمع في غاية الثراء، وهذا يؤكده تماماً هذا المدفن أحد الشواهد القوية على ثراء ثاج. كما أن السور الذي يحيط بثاج والذي يصل متوسط سمكه إلى حوالي ٤,٥م (الزهراني، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م: ٥١) يعد دليلاً مادياً آخر على أن هذا المجتمع كان مجتمعاً على قدر عالٍ جداً من الثراء وهذا ما اضطرهم إلى تحصين مدينتهم بهكذا سور شيد بدقة متناهية.

هنالك فرضية تتعلق بسور ثاج طرحها بوتس في كتابه الخليج العربي في العصور القديمة (بوتس، ٢٠٠٣م: ٧١٨-٧١٩)، مضمون هذه الفرضية في غاية الأهمية، على الرغم من أن بوتس ربما بالغ في بعض الأرقام: إذ يذكر بوتس أنه بافتراض أن ارتفاع السور كان مترين ومحيطه كان ٢٣٥٣م أما عرضه المتوسط فقد كان ٤٥م فإن المعماري سيحتاج إلى ما لا يقل عن ٢٢٨١٥ متراً مكعباً من الحجارة. لذا فهنا سيعاد صياغة هذه الفرضية بحساب آخر: عند النظر إلى سور ثاج والبالغ محيطه ٢٥٣٥م، وبالنظر إلى متوسط عرض هذا السور والذي يلامس ٤,٥ م، ولكونه سور دفاعي فمن المحتمل أن ارتفاع السور سيكون على الأقل نصف ضعف العرض، أي حوالي ستة متر، وبحساب هذه المعطيات فإن السور يحتاج ما لا يقل عن ٦٨٤٤٥ متراً مكعباً من الحجارة، هذا بإهمال الأبراج الموجودة في كل ركن والأبراج الصغيرة أو الدعامات الموجودة في أضلاع السور، وكذلك بإهمال المنازل الموجودة داخل السور والتي بنيت من الحجر. وبالنظر إلى طريقة بناء السور والأبراج فقد بني السور من الحجارة المهذبة (الزهراني، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م: ٥١)، كما تم عمل مجسّ صغير في البرج الجنوبي الغربي كشف عن طريقة بناء هذا البرج وأساساته، وأظهر المجس أنه تم استخدام الحجارة المهذبة جيداً في بناء هذا البرج (قزدر وآخرون، ١٩٨٤م: ٦٣-٦٤).

وبناء على هذه الفرضيات في الحساب، وعلى ما لدينا من معلومات مؤكدة حول طريقة البناء، فإنه من الواجب طرح تساؤل حول المكان الذي جلبت منه الحجارة الكلسية؟

يذكر بوتس أنه قام بمسح الجبال المحيطة بالموقع، ولم يشاهد أي دليل على أن أياً من هذه الجبال استخدم كمقلع للحجارة التي استخدمت في بناء السور أو حتى المنازل في ثاج، ويذكر أن أقرب مقلع للحجارة الكلسية يقع بالقرب من الجبيل على بعد حوالي ٨٥ كم من ثاج، ويفترض أيضاً أن الجمل كان هو وسيلة النقل التي تم بها نقل هذه الحجارة (بوتس، ٢٠٠٣م: ٧١٨-٧١٩). عند القبول بهذه الفرضية، وهي منطقية تماماً، فيمكن اعتبارها دليلاً آخراً على مدى الثراء الذي تمتعت به ثاج، فبمجرد أن يتم جلب حجارة مشذبة من مسافة بعيدة، فهذا يدل على أن مَن استوطن هذه البقعة على قدرٍ كبيرٍ جداً من الثراء، وهذا يتطابق تماماً مع ما ورد من نصوص تاريخية تشير إلى ثراء الجرهائيين.

قبل ختام هذا البحث، فإن ثمة إشكالية تعترض قبول ما تم طرحة فيما سبق، وهي ما ذكره بليني أن الجرهاء لها ميناء يحمل اسم المدينة نفسه، أي يفهم من حديث بليني أن هناك مدينة وهناك ميناء، أيضاً ما ذكره سترابو أن المدينة، وليس الميناء، تبعد حوالي ٢٠٠ ستاد عن الساحل، أي حوالي ٤٠ كم. بالنظر إلى ما ورد في هذه النصوص، وبافتراض وجود نسبة خطأ في نقل الأرقام لدى الإغريق، وهو أمر طبيعي جداً ومتوقع، وبالنظر إلى أقرب مسافة لثاج عن الساحل، فهي تصل حوالي ٧٠ كم شرق ثاج، وهذا يؤدي إلى موقع الدفي. وبافتراض أن العوامل الطبيعية للمناخ وانحسار البحر، فمن الوارد جداً أن البحر كان في فترات ما قبل الميلاد أقرب بكثير من المسافة التي هي عليه الآن. ولعلنا هنا نضيف بهذا الخصوص أدلة ذات طابع فني، ويقصد بها على وجه التحديد طبيعة أدوات الحلي والزينة التي كشف عنها في ثاج والمذكورة أعلاه، وهي كما تؤكد الدراسات أنها تنتمي إلى تقليد فني متأثر بالطابع الهلينستي والذي كشف عن امتداد له في موقع الدفي؛ حيث عثر على مجموعة فنية تشابه ما كشف عنه في ثاج، وهذا ما يقوي الاعتقاد بأننا نتعامل مع معثورات فنية لا تنتمي فقط لورش فنية ذات تأثير هيلنستي، بل أيضاً يمكن أن نربط ما بين الدلالات الجغرافية لكلا الموقعين بكونهما ذوَي ارتباط حضاري وفني؛ ومن هذا المنطلق، يمكن اعتبار أن موقع الدفي كان الميناء المطل على الساحل للجرهاء، بينما ثاج كانت العاصمة أو المدينة الرئيسة لها.

الخاتمة

بعد استعراض كل ما ذكر أعلاه من فرضيات تتعلق بافتراض موقع ثاج كموقع محتمل للجرهاء، وأن الدفي ميناءً لها، وبالنظر إلى كل ما تقدم من مطابقة للنصوص التاريخية على ما تم اكتشافه مؤخراً في هذين الموقعين، وكذلك بالنظر إلى ما تم مناقشته مسبقاً من عددٍ من العلماء، ومحاولتهم تطبيق المسافات المذكورة في النصوص التاريخية على موقع ثاج، وترشيحهم لها كموقع محتمل للجرهاء؛ فإنه يمكن القول الآن أن ثاج وحتى الآن هي الخيار الأنسب، بل الخيار الوحيد ربما الذي تتطابق فيه المكتشفات مع ما ورد من نصوص تاريخية؛ ولا يوجد موقع آخر في المنطقة كلها يمكن أن يتم قبوله كموقع مرشح للجرهاء. إن التنقيبات الأثرية الأخيرة في هذا الموقع أزاحت الكثير من الغموض عن تاريخ هذه المنطقة، وأضافت لمعلوماتنا الكثير عن مدى الثراء الذي تتمتع به ثاج. وسيظل هذا الرأي هو الأقرب للصواب لحين ظهور أدلة مادية قطعية تطرح موقعاً آخر، وهذا يتطلب بكل تأكيد أدلة أكثر قوة مما هو ظاهر الآن، وذلك لكون ما ظهر من أدلة في الوقت الحالي يكفي للقبول بأن ثاج موقعاً لحاضرة الجرهاء.

د. عبدالرحمن بن عبدالعزيز السحيباني: قسم الآثار، كلية السياحة والآثار، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

الهوامش:

* يتقدم الباحث بالشكر لعمادة البحث العلمي في جامعة الملك سعود، ممثلة بمركز البحوث في كلية السياحة والآثار على دعم هذا البحث.

١. يسمى لدى بعض الباحثين سترابون، وهو مؤلف ومؤرخ وجغرافي وفيلسوف يوناني عاش في الفترة بين ٦٣/٦٤ قبل الميلاد وحتى ٢٤ بعد الميلاد، له العديد من المؤلفات، من أهمها الموسوعة الجغرافية التي أسماها Geographia والتي جاءت في سبعة عشر مجلداً.

٢. أحد أشهر المؤرخين اليونانيين الذين عاشوا في القرن الأول قبل الميلاد، وقد ألف ما سمي بمكتبة التاريخ في حوالي ٤٠ مجلداً، جاء ذكر الجرهاء في المجلد السادس عشر في الفصل الرابع عشر وفي القسم التاسع عشر منه.

٣. هو فيلسوف وقائد عسكري روماني عاش بعد الميلاد في الفترة بين ٢٥/٢٣ حتى ٧٩ ميلادي، له موسوعة التاريخ الطبيعي والتي لم يتبقَ منها سوى سبعة وثلاثين مجلداً.

٤. هو أحد الجغرافيين وعلماء الفلك اليونانيين، عاش بعد الميلاد، وتوفى بالقرب من مدينة الإسكندرية في مصر نحو العام ١٥٠م.

المراجع:

أولاً: المراجع العربية

أسكوبي، خالد محمد وأبو العلا، سيد رشاد ١٩٨٥م، «حفرية ثاج-الموسم الثاني ١٤٠٤/١٩٨٤م»، **أطلال**، العدد ٩، ٣٧-٥٣.

بوتس، دانيال، ٢٠٠٣م، **الخليج العربي في العصور القديمة، الجزء الثاني: من الإسكندر الكبير إلى ظهور الإسلام**، ترجمة: إبراهيم خوري، المجمع الثقافي، أبو ظبي.

جروم، ن، ١٩٨٢م، «الجرهاء: مدينة مفقودة بالجزيرة العربية»، **أطلال**، العدد ٦، ٩٥-١٠٥.

الحشاش، عبدالحميد وآخرون، ١٤٢١/٢٠٠١م، «تقرير حفرية ثاج (تل الزاير) لموسم ١٤١٩/١٩٩٨م»، **أطلال**، العدد ١٦، ٣٧-٧١.

الزهراني، عوض علي السبالي، ١٤٣٥/٢٠١٤م، **ثاج: دراسة أثرية ميدانية**، الهيئة العامة للسياحة والآثار، الرياض.

..... ٢٠١٠م، «ثاج ومملكة الجرهاء»، **طرق التجارة القديمة: روائع آثار المملكة**، متحف اللوفر، باريس.

عفيصان، فهدة بنت سلمان، ١٤٣٧/٢٠١٥م، حلي الزينة القديمة في ثاج في شرق شبه الجزيرة العربية، دراسة فنية حضارية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الآثار، جامعة الملك سعود، الرياض.

الغزي، عبدالعزيز بن سعود، ١٤٢٥/١٤٢٦هـ، **مملكة كندة في وسط شبه الجزيرة العربية (دراسة آثارية تاريخية)**، الرياض، جامعة الملك سعود.

قزدر، محمد صالح وآخرون، ١٤٠٤/١٩٨٤م، «تقرير عن أعمال ونتائج الموسم الأول لحفرية ثاج، ١٤٠٣/١٩٨٣م»، **أطلال**، العدد ٨، ٤٩-٩٦.

ثانياً: المراجع غير العربية

Beeston, A. F. 1979, "Nemara and Faw"**, BSOAS**, 42: 1-6.

Bibby, T.G, 1973, "Preliminary survey in East Arabia 1968"**, Jutland Archaeological Society Publication**, XII, Copenhagen.

Dickson, H. R. P., and V. P., 1948, "Thaj and Other Sites"**, Iraq**, Vol. X, pp. 1 -8.

Lapp, P., 1963, "Observations on the Pottery of Thaj", **Bulletin of the American Schools of Oriental Research**, No. 172, pp. 20- 22.

Mandaville, J., 1963, "Thaj: Pre-Islamic Site in North Eastern Arabia"**, Bulletin of the Amircan Schools of Oriental Research**, No. 172, pp. 9-20.

Mrkholm, O., 1979, "New Coin Finds from Failaka"**, KUML** 1979: 219-236.

Parr, P. J., 1964, "Objects from Thaj, In the British **Museum**", BASOR, 176: 20-28.

Potts, Daniel T., 1984, "Thaj and the location of Gerrha", **PSAS**, vol. 14, 78-91.

Robin, C., 1974, "Les inscriptions has'eenes", **Semitique**, XXIV: 83-125.

Ryckmans, J., 1979, "Some remarks on the late Sabaean **Inscriptions**", SHA, 1: 57-68.